

البحث

مكتبة فرنسا الكبرى مشروع طموح
لماذا لا نحتضن به؟

تأليف

الدكتورة / أمنية مصطفى صادق

قسم مكتبات - كلية الآداب

جامعة المنوفية

ابريل ١٩٩٢

مكتبة فونسا الكبرى مشروع طموح

لماذا لا نحتضن به ؟

د . أمنية مصطفى صادق

قسم مكتبات - كلية الآداب

جامعة المنوفية

مقدمه

حين أعلنت اليونسكو عن مشروع إحياء مكتبة الاسكندرية ، بات أمناء المكتبات والمعلومات يطلون كل ما ينشر عن مكتبة الاسكندرية بدون إستثناء ، إلا أن الكتابات جاءت غير شافية لأنها أنصبت على الخطوط العريضة التي تتناول الموضوعات التالية :

- الدور التاريخى لمكتبة الاسكندرية فى الحضارة الانسانية .
- نوعية مقتنياتها فى فترة ازدهارها .
- الموقع المقترح للمكتبة والتصميمات المعمارية المقترحة .
- دور هذا المشروع فى توفير جهد الباحثين بوجه عام لىون تحديد لنوعية المقتنيات أو المجال الموضوعى .

إن إقتصار النظر على هذه الخطوط العريضة وعلى الجوانب التاريخية مع إهمال ما ينبغى أن يكون عليه التخطيط للمستقبل هو عائق أكثر مما هو معين على إخراج هذا المشروع الى حيز الوجود مع وجود الضمانات العظيمة الكفيلة بإستمرارية المشروع . فالكتابات التي تناولت مشروع إحياء مكتبة الاسكندرية قد أهملت مناقشة الكثير من النقاط الجوهرية كتحديد نوعية المقتنيات فى الوقت المعاصر ، ونظم الإسترجاع المقرر استخدامها ، وفئات المستفيدين المتوقع إستقبالهم ، وغير ذلك من الأمور الحيوية فى مجال المكتبات ، وإن ذكر بعضها جاء هذا الذكر بصورة شبه عارضة غير معروف مصدره .

أولا : الهدف من هذا البحث :

ولأهمية موضوع إحياء مكتبة الإسكندرية وأثره الكبير على الفكر والثقافة والبحث العلمى فى المنطقة العربية بشكل عام وفى مصر بشكل خاص ، كان من الضرورى بحث ودراسة المشروعات المماثلة فى الدول المتقدمة . ومن حسن الطالع أن^{جد} مشروعاً شبيهاً فى كثير من العناصر ومتزامناً مع مشروع إحياء مكتبة الاسكندرية ، وهو مشروع مكتبة فرنسا او " المكتبة الكبرى " كما يحلو للبعض الاشارة اليها . ففى حين وقع إختيارنا على " مكتبة فرنسا الكبرى " كان هناك العديد من المشروعات المواكبة للتطور الحادث فى عالم المكتبات فى بعض البلدان نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : اليابان ففى اليابان نجد مشروع مضاعفة حجم المكتبة القديمة وهى مكتبة الدايت Diet Library بطوكيو . والمكتبة القومية الحديثة بكان ساي - Kansai - Kai - التى تقع بالقرب من اوزاكا Osaka وكيوتو Kyoto مع ازواجية الإيداع القانونى للمطبوعات وذلك حماية من توقعات الزلازل المتكررة فى اليابان هذا بالإضافة الى الإستفادة التامة من التكنولوجيا الحديثة على أوسع نطاق .

وجدير بالذكر أيضا إن هناك مكتبات حديثة تحت الإنشاء فى كل من شيكاغو Chicago ولسوس انجلوس Los - Angelos وسان فرانسيسكو San-Francesco بالولايات المتحدة الأمريكية والتى يتوقع إتمامها فيما بين ١٩٩١ و ١٩٩٥ .

وحين شرعت فى البحث عما كتب عن " مكتبة فرنسا " ، وجدت نفسى بين كتابات شاملة لجميع عناصر الموضوع ، متناولة الأفكار الكلية والجزئية بعناية ودقة ، كما وجدت أن جميع المهتمين بشئون الثقافة قد أبدوا آراءهم فى هذا الموضوع الحيوى ، ولم يقتصر الأمر على المتخصصين وخبراء المكتبات بل شارك فيه الجميع مما جعل الإطلاع على هذه الأفكار متعة فكرية لما تحويه من حقائق وعناصر واقعية نادرة عن المشروع وعن حاجات المستفيد عملاً بأحدث نظريات علم المعلومات .

وهدف هذا البحث هو طرح الأفكار والآراء التي دارت - وما زالت دائرة -
في كثير من حلقات المناقشة المعنية بمشروع مكتبة فرنسا بالإضافة الى ما جاء
في التقارير الفنية الخاصة بتخطيط هذا المشروع سواء حظيت بالنشر أو لم
تنشر بعد . فإن عرض وتحليل الأفكار والآراء بقطبيها السالب والموجب هو هدف
في حد ذاته وليس الوصول الى رأى قاطع في مشروع خارج أرضنا العربية هو
الهدف الحقيقي بالرغم من وجود أوجه التشابه فالإقتداء بنوعية الدراسات
ووسائل البحث وطرق جمع المعلومات اللازمة لهذا المشروع هو الأمر الجدير
بالأخذ في الإعتبار عند النظر في مشروعات مماثلة أو شبه مماثلة .

إن مصادر هذا البحث ثلاثة أولها هو الدراسات الخاصة باللجان المكلفة
رسميا من قبل الحكومة الفرنسية ، وهي لجان متخصصة من العاملين في حقل
المكتبات ونشر الكتاب ، وهذه اللجان مكلفة بإجراء الأبحاث الميدانية وجمع
الإحصاءات المباشرة وغير المباشرة وتقديم تقارير فنية في جزئيات مستقلة مثل :
التزويد ، نوعية المقتنيات المستفيدين ، الوسائل السمعية والبصرية ، نظم
الإسترجاع الإلكتروني ... الخ . وعلى الرغم من أن هناك تداخلا بين موضوعات
تخصص اللجان إلا أن هذا التداخل مطلوب في حد ذاته حتى يتسنى للجنة العليا
رؤية نقاط الإتفاق في وجهات النظر للجنان المختلفة وأيضا نقاط التعارض
والإختلاف أو ما يمكن ان يطلق عليه نقاط التضارب ليكون هناك مرحلة متقدمة
في البحث تحاول فيها اللجنة العليا الوصول الى أسباب هذا التعارض في الآراء
بين اللجان المختلفة . فعلى سبيل المثال إذا ما إشتراك لجنة التزويد ولجنة نوعية
المقتنيات في نقطة ما وكان هناك إختلاف في الرأى بين اللجنتين أصبح من
الواضح للجنة العليا ان هذه الجزئية في حاجة الى مزيد من الدراسات والفحص
للوصول الى أسباب هذا التعارض أو هذا الخلاف في الرأى ومن ثم وضع
الحلول المناسبة .

أما ثانيا هذه المصادر فهو الآراء التي نشرت في الصحف والمجلات وهي
للكتاب والصحفيين والأفراد المهتمين بقضية المكتبات وهم كثيرون في فرنسا .

وهذا المصدر يمثل منبر المستفيد من الدرجة الأولى .
أما المصدر الثالث فهو الكتب التي صدرت بالفعل بصدد هذا الموضوع
وهي تعتبر قليلة نسبيا ولكنها تقدم خلاصة المصدرين السابقين ، بالإضافة الى ما
جاء في الندوات واللقاءات التي نظمتها المؤسسات العلمية .

فانيا : المشروع الطموح :

في صيف عام ١٩٨٨ طمح رئيس الجمهورية الفرنسية - فرانسوا
ميتران - في نطاق السياسة العامة الهادفة إلى تدعيم ثروة البلاد من الكتب
والمكتبات وتمكينها من تعويض تأخرها عن ملاحقة الجهود المبذولة في الدول
المتقدمة (مثل الولايات المتحدة وانجلترا والمانيا واليابان) ، طرح فكرة إنشاء
مكتبة كبرى ذات طابع جديد تماما ، محمدا ما يراه من سمات أساسية لهذه
المؤسسة الجديدة . وهذه السمات هي :

- تغطية جميع ميادين المعرفة .
- فتحها لجميع فئات المتعلمين .
- استخدام أحدث الأساليب التكنولوجية .
- إمكان استخدامها عن بعد .

- تعاونها مع غيرها من المكتبات الأوروبية (١) .

وقد كانت هذه الفكرة - أو بالأحرى هذا المشروع - منطلقا لسيل جارف
من الأبحاث والجدل الذي لايزال مستمرا في بعض جوانبه حتى الآن. أبحاث
تناولت العديد من معالم المشروع سواء من حيث الجانب المعماري والهندسي
والموقع ، أو من حيث المضمون المحدد لتلك المكتبة الكبرى وأهدافها ووسائلها ، أو

(١) خطاب الرئيس ميتران وبيان رئيس الوزراء آنذاك ميشيل روكار . أغسطس ١٩٨٨ وكذلك
خطاب الأخير الى كل من مدير إدارة الإعلام العام بمركز بومبيد ورئيس مجلس إدارة المكتبة
القومية في ١٢/٨/١٩٨٨ .

من حيث علاقة المؤسسة (١) الجديدة بالمكتبات القائمة بالفعل وعلى رأسها بطبيعة الحال المكتبة القومية ذات الشهرة العالمية . وبالطبع فإن لتلك الفكرة جذورا ترجع بصفة أساسية الى رغبة الرئيس الفرنسي في أن تتبوأ فرنسا مركزا ثقافيا مرموقا بين دول أوروبا الموحدة مستقبلا .

ويهدف هذا المشروع أيضا الى معالجة الأسباب التي جعلت المكتبة الأولى في فرنسا - المكتبة القومية والقائمة في قلب باريس - تتعرض في ملاحظة نظيراتها من المكتبات القومية في الدول الغربية الأخرى .

ولعل أهم هذه الأسباب هو ضيق المكان الذي لم يعد يتسع لمزيد من ثروتها المقدرة بنحو ١٠ مليون مؤلف والذي أدى الى خلق طابور من القراء بصفة منتظمة في إنتظار خلو مقعد في قاعة الاطلاع الرئيسية بالمكتبة القومية إبتداء من ساعات الظهيرة وحتى الساعة الثالثة أو الرابعة بعد الظهر ، هذا فضلا عن أن الإعتمادات المالية المتاحة لم تكن كافية منذ سنوات عديدة لإنتهاج سياسة إقتناء فعالة ومناسبة لإحتياجات قراء هذه المكتبة من المراجع الخارجية (٢) .

وليس من هدف هذا البحث تتبع مختلف الخطوات التي مر بها مشروع المكتبة الكبرى الجديدة والتي إستقر الرأي على تسميتها " مكتبة فرنسا " ولكننا نعتقد أن من المفيد إبراز بعض القضايا التي ثارت في هذا الصدد والتي قد تحمل بعض الدروس المفيدة للجهود الرامية الى دعم ثروة خدمات المعلومات في بلاد أخرى غير فرنسا .

ثالثا : التغطية الشاملة لمجالات المعرفة :

يبدو إن القيادات السياسية الفرنسية عندما أرادت أن يكون هدف هذه المكتبة التغطية الشاملة لجميع مجالات المعرفة لم تستشر أهل التخصص مسبقا .

(١) استخدمت كلمة المؤسسة الجديدة بدلا من المكتبة الجديدة في كثير من المؤلفات والتقارير الرسمية إشارة الى شمولية نشاطها وعدم اقتصره على دور المكتبة التقليدية .

(٢) يقصد خارج فرنسا .

حيث أن نظريات التعاون والسياسات التطبيقية لها في مجال خدمات المعلومات كانت قد أثبتت فاعليتها منذ سنوات طويلة في كل من إنجلترا ، والولايات المتحدة الأمريكية . ولم يكن الهدف من هذا التعاون إلا التغلب على صعوبة تحقيق التغطية الشاملة لرغبات المستفيدين المتعددة والمتجددة والمتطورة ، وفي نطاق ميزانية محددة ومع التضخم الهائل لأوعية المعلومات . وكثرت التعليقات ودار النقاش بأن مثل هذا الهدف وهو التغطية الشاملة لجميع مجالات المعرفة هو في الحقيقة هدف بعيد كل البعد عن الواقعية . وسرعان ما جلب البراهين من الواقع الفرنسي . فذكر أحد المعلقين أن عدد المؤلفات المكتناه في إحدى المكتبات عن تاريخ اليونان وروما القديمة وحدها يبلغ سنويا ١٥٠.٠٠٠ مؤلف ، وهو فرع من فروع التاريخ أي أن الزيادة فيه زيادة محدودة إذا ما قورنت بالمجالات الديناميكية في المعرفة مثل التكنولوجيا وعلوم الفضاء والطب بفروعه الحديثة .

لذلك فقد برزت أثناء المناقشات فكرة هامة هي هل مكتبة فرنسا سوف تعتبر قلبا نابضا تربطه بمختلف المكتبات الفرنسية والأجنبية الأخرى شبكة من الاتصالات تكفل فرضا لزاؤها القدرة على الحصول على أي مرجع شاء من أية مكتبة بفضل هذه الشبكة التي ستقوم على أحدث الأجهزة الإلكترونية القادرة على مساعدة القارئ على التعرف على ما يهمه من مراجع ، ثم على الحصول على ما يختاره في وقت سريع بقدر الإمكان سواء كان عن طريق الإعارة من خلال نظام البريد السريع أو بالتصوير ، أو من خلال النقل عبر أجهزة الإتصال الإلكتروني المختلفة كالإتصال المباشر أو الفاكسميل ... الخ .

ويعنى هذا ان مكتبة فرنسا لن تكون متخصصة أو ذات ميل الى التخصص ، كما هو الأمر حاليا فيما يتعلق بالمكتبة القومية التي يتركز إهتمامها على التاريخ والإنسانيات بصفة عامة . وإنما مكتبة متعددة الأقسام لا يغلب فيها قسم على آخر .

ومن القضايا التي أثارَت أبحاثا كثيرة في هذا الصدد قصر أو عدم قهرى المؤسسة الجديدة " على الكتب والمجلات الورقية التقليدية ، الأمر الذي يشير به

الأصل اللغوي لكلمة " مكتبة " باللغات الأوربية : صندوق الكتب Bibliothèque وقد تغلب في هذا الشأن الرأي القائل بتوسيع إختصاص المؤسسة الجديدة بحيث تشمل الى جانب الأنواع التقليدية أنواع أخرى للمعرفة في مقدمتها الأفلام وأشرطة الفيديو وأسطوانات الليزر وتسجيلات التلفزيون والراديو واللوحات والصور الفنية وغير الفنية والمخطوطات بل إن الميل كل الميل الآن أصبح لاقتناء الأوعية الإلكترونية (اسطوانات الليزر CD - Rom) لما تعطيه هذه الأسطوانات من إمكانية بث المادة العلمية عبر خطوط الهاتف الى المنازل والمكاتب على مستوى الفرد . وبذلك يتم تجنب الوسائل التقليدية في الإستعارة وما قد تثيره من صعوبات . هذا بالإضافة الى توفيرها للحيز المكاني ، وتوافر الامكانيات المنطقية الواسعة في بحث المادة العلمية المجلدة على الاسطوانات ، مع سهولة حفظ وصيانة مثل هذه النوعية من أوعية المعلومات وعدم تعرضها للتلف السريع . فالمكتبة الجديدة سوف تكون صندوقا للإعلام " على حد تعبير أحد التعبيرات المستخدمة Médiathèque وسند هذا الرأي أن قنوات المعرفة الحديثة لم تعد قاصرة على " الحامل الورقي " ، بل تشمل كل ما ذكر في موضوع ما قد يكون له أثر وأهمية لا تقل عن الكتاب أو المقال .

ومن الأمثلة المقنعة على ذلك ما ساقه البعض بشأن حرب تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي . فمن المراجع الأساسية الهامة للتعرف على تاريخ هذه الحرب ما هو متاح من أفلام صورت عددا من معالم هذه الحرب التي شغلت فرنسا والرأي العام الفرنسي منذ عشرات السنين .

ولا يمكن لأحد أن ينكر ما لهذه الأفلام من قيمة مرجعية تزيد على مئات الصفحات من الوصف في كتب أو مقالات . وأيا ما كانت وجهة هذا الإختيار - إختيار تعدد عوامل مضمون الثروة المحتفظ بها في مكتبة فرنسا - فمما لا شك فيه أن هذا يعنى فقط تجميع " أوعية " مختلفة وأقسام موضوعية متباينة في ظل مؤسسة واحدة يطلق عليها نفس التسمية القديمة " المكتبة Bibliothèque " تجاوزا عن المعنى الضيق الذي تشير إليه لغويا وتاريخيا .

وأبعا : المبنى بين التصميم والإستخدام :

وإذا كان تصميم مكتبة الإسكندرية الذى وقع عليه الإختيار قد وجهت إليه الإنتقادات الهندسية للارتفاع الشاهق .

ولنا وقفة عند إختيار مبنى مكتبة فرنسا فقد تم إجراء تصفية لـ ٢٥٠ مشترك - فى مسابقة تصميم المبنى - منهم ١٤٠ اجنبيا (ليس فرنسا) ومن خلال لجنة التحكيم تم إختيار ٤ تصميمات بصفة نهائية ليقوم رئيس الجمهورية الفرنسية بإختيار مشروع تقدم به مهندس فرنسى الجنسية مغمور لم يتجاوز عمره آنذاك ٢٦ عامًا وهو دومونيك بيرو Dominique Peraut .

والتصميم الفائز عبارة عن مبنى يتكون من أربعة أبراج كل منها يصل إرتفاعه الى ٨٦ متر يفصل بين هذه الأبراج الأربعة حديقة مستطيلة (٥٨ متر × ١٨٧ متر) وتمتد هذه الحديقة أسفل المستوى الأرضى للطريق العام بعمق ٢١ متر . إن تصميم مكتبة فرنسا قد حرص على إظهار فكرة الرمزية على الشكل الخارجى للمبنى فإن الأبراج الأربعة المكونة لمكتبة فرنسا ما هى إلا رمز لكتب أربعة مفتوحة بزاوية قائمة .

كما حرص بيت الخبرة النرويجى فى تصميم مكتبة الاسكندرية بأن يكون الشكل الخارجى للبناء فؤمدلول يرمز إلى الشمس عند الشروق .

والمساحة الإجمالية^(١) لمبنى مكتبة فرنسا يصل الى ٢٥٣٠ متر مربع

موزعة كالاتى :

- إستقبال ، إطلاع داخلى ، خدمة مرجعية .
- ٦٢٢ متر مربع أى ٢٤.٦٪ من المساحة الكلية
- صحف ووريات .
- ٨٠٢ متر مربع أى ٣١.٧٪ من المساحة الكلية .

(1) Blaselle, Bauno; Bibliotheque National memoire de l'avenir P. 56

- أعمال إدارية وأفراد .
 - ٤٢٣ متر مربع أى ١٦ر٨٪ من المساحة الكلية .
 - خدمات فنية .
 - ٦٨٢ متر مربع أى ٢٦ر٩٪ من المساحة الكلية .
- أما عن إكمال مبنى وإفتتاحه للجمهور فقد تضاربت الأقوال بشكل ملحوظ حيث يؤكد مولو Melot فى اكثر من موقع بأن عام ١٩٩٥ هو موعد التحدى الذى قبلته فرنسا لتثبيت للعالم أنها مازالت عاصمة النور والحضارة . نجد ان بلاسل (١) Blaselle قد أكد إن هناك جزءا من المبنى سوف يكون معدا للإفتتاح عام ١٩٩٣ والثانى فى عام ١٩٩٦ على الرغم من إن المخطط لإفتتاح المكتبة بالكامل قد حدد له عام ١٩٩٤ .

خامسا : نوعية هذه المكتبة :

- ويظهر فى هذا الشأن أيضا تنوع وتعدد أهداف مكتبة فرنسا والتي تصل فى بعض الأحيان الى درجة التناقض الواضح :
- طابع " المكتبة العامة " حيث لخدمات المعلومات على نمط (مكتبة جورج بوميديو) أى مكتبة تستقبل أساسا قراء يرغبون فى الحصول على معلومة أو معلومات معينة عن موضوع محدد أيا ما كان ذلك الموضوع أو يرغبون فى الإطلاع على الدوريات اليومية أو الأسبوعية .
 - طابع " المكتبة المتخصصة " ومكتبة الباحثين أى اولئك الذين يجرون أبحاثا على درجة من التخصص سواء كانت ذات طابع قصير أو مسترسل بعض الشيء ، فهذا هو جمهور المكتبة القومية (٢) المفضل .

(١) انظر المرجع السابق

(٢) يقصد بها المكتبة القومية الفرنسية Bibliothèque National

- طابع " المكتبة الجامعية " التى تستهدف إستقبال طلبة المراحل المختلفة للتعليم الجامعى على الأخص ، وكثير منهم يأتى الى المكتبة فى المرتبة الأولى - لا لى يطلب بعض المراجع - وإنما للمذاكرة فيما لديه من أدوات شخصية ، مستفيدا بذلك من المكان المجهز تجهيزا لائقا لساعات طويلة من الدراسة والتركيز ، حيث الدفء فى الشتاء والتهوية فى الصيف ، بالإضافة الى الإضاءة المناسبة والجو العام المشجع على الدراسة وذلك عوضا عن المذاكرة فى المنزل أو فى المكتبات الجامعية التى ضاقت بعدد طلابها (ويمكن زيارة مكتبة جامعة السوربون فى أى يوم من أيام الأسبوع لمشاهدة الازدحام فيها بما لا يترك مقعدا خاليا وانه لمن المناظر المألوفة رؤية الطلبة وقد إفترشوا الأرض أثناء القراءة) .

ومن المستهدف فى مكتبة فرنسا توفير ٢٠٠٠ مقعد لقسم الإطلاع والدراسة و ١٢٠٠ مقعد لقسم البحث فى المبنى الجديد مع التشدد فى استقبال رواد القسم الأخير بما لا ينطبق على القسم الأول المفتوح على مصراعيه للجميع (١) .

وليس من شك أن هناك شيئا من التناقض بين الرغبة فى الإنفتاح للجميع ومن ثم زيادة عدد المرات التى يوفر فيها مرجع أو مخطوط أو نسخة نادرة وبين الرغبة المشروعة لكل مكتبة فى الحفاظ على ثروتها . فكلما زاد توفير المرجع زاد إحتمال المساس به ولو ماديا فقط .

ولكن من ناحية أخرى ليس الغرض من أى مكتبة ان تصبح " مقبرة " تحفظ فيها المراجع وتحبس عن المستفيدين من المكتبة . ومن الحلول المقترحة للتغلب على هذا التناقض - الحل الذى اصبح الآن تقليديا بعض الشئ - وهو التصوير الميكروفيلىمى وإن كان الكثيرون يفضلون بطبيعة الحال الاشكال التقليدية

(١) انظر المرجع السابق ص ٥٩ ، ٧٦ .

وهي الورقية ، لأكثر من سبب ، فبالإضافة الى العادة القرائية فهناك الوعي الصحي المنتظر وهو تقليل إشعاعات الآلة كلما أمكن ذلك .

وجدير بالذكر أن حلول المحافظة على النسخ النادرة اكتفت بالتصوير الميكروفيلى ولم تتطرق الى التصوير الإلكتروني والتسجيل على إسطوانات الليزر على الرغم من أهمية هذه الطريقة وسرعة إنتشارها فى أوروبا بعد انتشارها فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وأيا كان الأمر فقد لفت تقرير مجموعة العمل^(١) نظرنا الى أن المشكلة فى فرنسا أضف بكثير مما هى عليه فى دول أخرى . فعدد المتردين على المكتبات فى فرنسا لايزيد وفقا لإحصاءات عام ١٩٨٨ عن ١٧٪ من السكان مقابل ٢٠٪ فى ألمانيا و ٢١٪ فى إنجلترا ونحو ٥٠٪ فى الدنمارك . هذا بالإضافة الى مقارنة أخرى شيقة هى ان عدد المقالات^(٢) المطلوب إعداد صور لها سنويا هى ٢١٠٠٠ فى فرنسا مقابل ٤٠٠٠٠ فى ألمانيا و ٧٠٠٠٠ فى إنجلترا . ونستطيع ارجاع هذه الزيادة الهائلة فى إنجلترا والتي قد تصل الى أكثر من ثلاثة أضعاف الأرقام الفرنسية هو وجود British Library Lending Devison (BLLD) فى شمال إنجلترا .

هذه الأرقام كانت الحافز الأساسى لدفع القيادة الفرنسية الى وجوب الإنفاق على الجميع ، تعبيرا عن الرغبة فى المزيد من ديمقراطية الإطلاع والعلم ومن ثم فى مزيد من رواد المكتبات بفرنسا أسوة بغيرها .

-
- (1) Publics de la Bibliotheque de France; Rapport de Syntese groupe de travail, (unpublished report, Paris) 1990 p.4.
 - (2) Bibliotheque de France; bliotheque ouverte; Acte du colloque du 11 September 1989- Paris : MEF. 1990 p.86.

سادسا: التعرف على المستفيدين:

كذلك من الأعباء الثقيلة التي ألقاها الرئيس ميتران على عاتق المؤسسة الجديدة "إنفتاحها للجميع"، فهي بذلك تتميز تميزا واضحا عن "المكتبة القومية" بباريس والتي تعمل بصفة منتظمة على الحد من المستفيدين أى القراء، طالبة التبرير الكافى لإصدار تصريح بالدخول (عدد محدد من المرات) وبمقابل ليس بقليل فيما يتعلق بتصريح الاشتراك للقراء (إشتراك سنوى ثمنه حاليا نحو ٩٠ جنيها مصريا). وقد أدى بحث هذا المطلب ودراسة امكانية تحقيقه إلى العديد من الأبحاث الشيقة عن "المستفيدين" من القراء والمنتظر إستقبالهم فى المكتبة الجديدة، وفى مقدمة هذه الأبحاث ما جاء فى التقرير الذى نشر فى مارس ١٩٨٩^(١) عن عدد القراء المرتقب بلوغه عند إنفتاح المكتبة، فقد توصل فريق البحث أن هناك نحو ٧ مليون شخص فى العام من المنتظر ترددهم على المكتبة فى السنة أى إن هناك معدل عشرين ألف قارئ فى اليوم الواحد وهذا الرقم يشمل العديد من الفئات العمرية والتخصصية أيضا. وعلى الرغم من إختلافنا فى عدد الأبحاث المنشورة فى هذا المضمار نتوقع إرتفاع هذا الرقم بعدة آلاف قياسا على عدد القراء المترددين على مكتبة مركز "جورج بومبيو"^(٢) إلا أن ما يهمنى فى هذا المضمار هو كيف إستطاع فريق العمل المكلف بالدراسة البحثية لهذه المشكلة التوصل الى هذا الرقم؟ .. وللإجابة على هذا السؤال نجد أن فريق العمل قام بجمع كل الدراسات والإحصاءات التى تم تسجيلها فى المجالات التالية:

(1) Publics de la Bibliotheque de France; Rapport de Syntese par Jacqueline Freyssinet Dominion (Paris); Etablissement Public de la Bibliotheque de France, Mars 1990

(٢) ان متوسط عدد المترددين على مكتبة جورج بومبيو اليومى هو ١٢ الف قارئ، على الرغم من ضيق حدود التغطية الزمنية لمجموعة أوعية المعلومات المتوفرة. مما يشير الى احتمال زيادة الرقم المقترح لقراء مكتبة فرنسا الى نحو ١٥ الف قارئ فى اليوم عن الرقم المذكور. خاصة إذا التزمت المكتبة بالخط التكنولوجى أى توفير أوعية المعلومات السمع بصرية.

- ١ - الفئات العمرية فى المراحل التعليمية .
 - ٢ - الحاجة إلى إستخدام المكتبة (بالمفهوم العريض لاحتياج المجتمع الى المعلومات)
 - ٣ - الإهتمامات الثقافية (وتشمل المعارض بمختلف أنواعها وفئات المتقدين عليها) .
 - ٤ - إحصاءات المكتبات الباريسية (بأنواعها المختلفة) .
 - ٥ - التوزيع الجغرافى للسكان فى العاصمة الباريسية وضواحيها .
 - ٦ - العادات القرائية للأجناس المختلفة المقيمة فى فرنسا .
- ومن هذه العناصر وما لحقها من فروع تم إستخراج الكثير من الجداول الاحصائية واكتملت الصورة الى بنيت على أساسها الأرقام السابقة .

سابعاً: الفهرس الموحد: (١)

لاتقل أهمية خدمة المستفيد عن المحافظة على التراث فى المكتبات وعليه فقد اولى المخطط الفرنسى أهمية واضحة لإنشاء " فهرس قومى موحد " يعتبر احد العناصر الأساسية فى المشروع الجديد فمن المسلم به ان توفير فهرس بالمقتنيات هو العمود الفقرى لكل مكتبة وبدونه تصبح مجموعة المقتنيات لافائدة من ورائها . وتمتد أهمية الفهرس وتزداد فائدته حين يوحد على المستوى القومى فيكون بمثابة كنز قومى للمعلومات البيبلوجرافية مثال : الفهارس الانجلو أمريكية OCLC والتي توفر اكثر من ٢٠ مليون بيان بيبلوجرافى لأكثر من ٦ الاف مكتبة . هذا بالإضافة الى العديد من الخدمات البيبلوجرافية الأخرى المرتبطة بالإختيار والتزويد والاشتراك .

(١) يضم الفهرس الموحد الفرنسى فهارس ٢٨٠٠ مكتبة ومركز توثيق

وقد بدأت بالفعل المكتبة القومية الفرنسية - وبالتعاون مع دوائر النشر في فرنسا - في إطار المشروع المعروف باسم " Base Opal " بوضع ثرواتها من المقتنيات منذ عام ١٩٧٥ على الحاسبات الآلية موفرة للقارئ من خلال الشاشات الإلكترونية خدمة الإسترجاع للبيانات البيولوجية من خلال أسماء المؤلفين أو عناوين المؤلفات أو كليهما معا (فهرس الفبائي) . بالإضافة الى إسترجاع موضوعي أو إسترجاع من خلال الترقيم الدولي الموحد للكتب . هذا وقد بلغ عدد التسجيلات البيولوجية المتوفرة بهذا الشكل ما يقرب من مليون ونصف منها ٦٠٪ باللغة الفرنسية و ٤٠٪ بلغات أخرى .

ومن المقترح ان يتولى القيام بهذه المهمة - أى إنشاء الفهرس القومى الموحد مجلس أعلى متميز عن " مكتبة فرنسا " وإن كانت ممثلة فيه ، حتى لاتتخذ هذه الأخيرة مظهر السلطة المشرفة على غيرها من المكتبات الفرنسية وحتى لا يلقى على عاتقها عبء ما يستهدفه المشروع من تسوية خدمات الفهرس القومى الموحد فى مختلف بلدان العالم وعبء الإتصال المستمر بالأجهزة المائة القائمة على تصنيف الإنتاج العلمى المنشور .

ثامنا : تسهيلات الاطلاع :

ومما يعبر تعبيرا بليفا عن طموح المشروع أنه يستهدف توفير نوعين من خدمة الإطلاع للقراء ، أولها الإطلاع فى الموقع وثانيها الإطلاع عن بعد . ففى النوع الأول يزود كل قارئ بشاشة صغيرة تتيج إستخدام الفهرس وتسجيل طلبات الحجز للقارئ بل وتذهب الخدمة الى أبعد من ذلك ، وهو الاتصال بالمكتبات الأخرى بواسطة القارئ نفسه مقابل رسوم محددة . وبذلك يمكن للقارئ الاستفادة من التسهيلات المتاحة التى توفرها مكتبات اخرى محلية أو أجنبية . ويضاف الى ذلك إمكانية الاطلاع على نصوص المراجع التى تم تخزينها على وسائط " ملينزة " .

أما النوع الثانى وهو الإطلاع عنى بعد أو خارج المكتبة من خلال الحاسبات الشخصية فى المنازل أو أماكن العمل والمتصلة بخطوط الهواتف من خلال وسائط الكترونية ، أصبح سعرها فى متناول الأسرة الفرنسية متوسطة الدخل .

ومن المتوقع ان تفتح مكتبة فرنسا أبوابها إبتداء من الساعة التاسعة صباحا وحتى الساعة العاشرة مساء (علما بأن المكتبة القومية تطلق أبوابها فى الساعة الثامنة مساء ، كما إن مكتبة برنستون Prenceton توفر خدمات الإطلاع الداخلى حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل وفقا لما نقله الباحثون فى التقرير المقدم للمشروع الطموح) . وذلك تلبية لمتطلبات قراء يعملون فى الساعات الإعتيادية فى مقر أعمالهم ولا يتاح لهم فرصة الزيارة إلا بعد إنتهاء فترة العمل. كذلك يهدف المشروع الجديد إلى الإسراع بخدمة القراء وخفض فترة الإنتظار للمراجع المطلوبة الى أدنى حد ممكن (١) . ومن الوسائل المقترحة لبلوغ ذلك الهدف الإستعانة بالإمكانات الآلية المحسبة أى إحضار المراجع بدلا من العمل اليدوى فى إستحضارها . فالعمل اليدوى فى فرنسا وأوروبا الغربية بشكل عام مرتفع الأجر وإستخدام الآلات يؤدى الى خفض التكاليف مع سرعة ودقة فى الأداء الأمر الذى يعود بالنفع على المشروع وعلى المستفيدين من خدماته .

قاسما : خدمة القراء : موقف إيجابى بدراسة الجدوى :

ومن مظاهر العمل على خدمة القراء فى المشروع الفرنسى الجديد العمل على إستبدال الموقف السلبى للعاملين فى المكتبة (مجرد الرد على الأسئلة مع تركيز مهمة المكتبة على توفير المطلوب من مراجع) الى موقف إيجابى يعمل على مساعدة القراء مساعدة فعلية . ويتم ذلك أولا على نطاق البحث عن المراجع

(١) تتراوح فترة الإنتظار فى المكتبة القومية الفرنسية بين نصف ساعة وساعة كاملة فى الأحوال العادية .

المطلوبة داخل المكتبة وخارجها وإعداد قائمة ببلوجرافية ويكون إخصائى المعلومات كفيلاً بمساعدة القارئ فى بحثه عن المراجع . وثانياً فى صورة إبداء النصيح والإرشاد فيما يتعلق بالتعرف على ما سوف يساعده فى عمله بالفعل . ولا يخفى بطبيعة الحال ما يتطلبه هذا من تحول جذرى فى تأهيل وتعريف العاملين بالمكتبة الجديدة . ويبدو ان المستهدف ليس فقط أن توفر - مكتبة فرنسا - خدمات مماثلة لما توفره حالياً بعض المكتبات المتخصصة من قوائم ببلوجرافية متخصصة فى موضوع بحث محدد أى قوائم البحث Online Search التى توفر قوائم مستخدمة الشبكات العالمية المعروفة مثال Medline أو مثيلتها ومن التسهيلات التى يخطط لها الحصول على صور من أجزاء من مراجع معينة عن طريق مؤسسات متخصصة مثل " BLLD " بل يبدو إن المراد أن ينقلب جهاز العاملين فى مكتبة فرنسا الى شريك كامل للباحث فى مرحلة إعداد وتوفير المطلوب والمفيد من المراجع .

ولا يخفى ما يفترضه ذلك من مجهود خاص فيما يتعلق بتدريب وتأهيل جهاز العاملين ، وتنوع تخصصاتهم ، ورفع مرتباتهم ، وضمان مرضاتهم . والخطر فى هذا الصدد أن ينقلب جهاز العاملين فى مكتبة فرنسا إذا ما تحقق ذلك الى فئة أرسقراطية متميزة عن باقى العاملين فى المكتبات الأخرى ، مع كل ما يجره من مشكلات ومطالبات ومقارنات ومن الوسائل المقترحة لبلوغ ذلك ، العمل على أتمته إحضار المراجع للقارئ ، أى إحلال آلات متحركة محل العمل اليدوى فى استحضارها . ومن الحسابات الطريفة التى تمت فى هذا المضمار وتستحق التسجيل فى هذا الصدد محاولة إثبات الجدوى الاقتصادية لهذا الإجراء على النحو التالى :-

تكاليف الأتمته : ٨٠ - ١٣٠ فرنك لكل مرجع متوسط الإستخدام (نحو ٢٥٪ من المجموع الكلى) أما الباقى فمن قبيل العناصر النائمة الغير مستخدمة .
منافع الأتمته : توفير $\frac{2}{4}$ ساعة إنتظار = ٦٠ فرنك (تم حسابها على أساس مرتب أستاذ معتمد) . بالإضافة الى ١٥ فرنك توفير وقت العمالة اليدوية

اللازمة ليصبح المجموع الكلى ١١٢ فرنك (٦٠ + ١٥) × ١٥ طلب سنويا
فرضا .

ومعنى هذا إن التكلفة إذا أخذت على إنها ١٣٠ فرنك سوف يتم
إستهلاكها فى ١٤ شهرا وليس من شك أن تقدير ما يزيد على ٣٥ جنيها قيمة
لثلاثة أرباع ساعة إنتظار أستاذ معتمد (والمرجع لايبين هل المقصود استاذ
جامعى او غيره (١)) مما يدعو الى تأمل المرتبات السائدة فى بلاد اخرى بعين
الاشفاق .

عاشرا: حفظ المراجع :

وقد حظى هذا الإعتبار بدوره على إهتمام كبير فى نطاق المشروع
الجديد فالعوامل الأكثر إعتداء على سلامة الكتب هى الأتربة . والتغير الملحوظ
فى درجة الحرارة ، وخاصة إرتفاع درجة الرطوبة . ويستهدف المشروع إتخاذ
التدابير الهندسية الكفيلة بمكافحة هذا الخطر الثلاثى إعتقادا فى الأساس على
الوضع العمارى وعلى نظام تكييف الهواء . ويضاف الى ذلك جهود بدأت المكتبة
القومية بالفعل فى اتخاذها وهى العمل على خفض حموضة الورق منعا لسرعة
تلفه . وتقدر الأبحاث الخاصة بذلك تكلفة هذا الإجراء بنحو ١٠٠ فرنك للكتاب
الواحد ، مقارنة بزيادة فى تكاليف الطبع على ورق لا حموضة فيه قدرها ٣٠٪
من التكاليف العادية .

ولكن الوسيلة التى حظيت بأعلى إهتمام فى نطاق الأبحاث والمناقشات
الدائرة حول المشروع هو نقل الكتب (أو جزء منها على الأقل) على إسطوانات
تتيح حفاظا على فاعليتها لمدة عشر سنوات على الأقل دون الحاجة الى تجديد .
ومن المتفق عليه أن هذه الوسيلة من جدول أعمال المستقبل لدى المؤسسة الجديدة .

(1) Publics de la Bibliothèque de France, Rapport de Synthese..

ومن المقترحات التي تقدم بها فريق العمل الخاص بقضية حفظ ثروة

مجموعة المقتنيات ما يلي (١) :-

- مطالبة المتزمين بالإيداع القانوني بإيداع ٣ نسخ من كل مؤلف: واحدة للحفظ وأخرى لتوفيرها للقراء والثالثة للتبادل خارج فرنسا .
- العناية المتواصلة بالمراجع حفظا على سلامتها وإنشاء إدارة متخصصة لذلك مجهزة بما يلزم من أجهزة وعماله متدربة .
- العمل على تخليص المراجع من الحموضة حيث تظهر الحاجة الى ذلك مع العمل على تقوية الأوراق الهشة .
- وضع برنامج محدد بدأ منذ عام ١٩٩١ لإصلاح وتجديد والحفاظ على المراجع .
- وضع فهرس قومي للمراجع المكتناه في شكل مصغر فيلمي .
- الإهتمام بنظام تكييف الهواء في مخازن المراجع لمحاربة تلوث الجو وتقلبات درجات الحرارة والرطوبة .
- العمل على تدعيم وإنعاش القطاع الخاص المتخصص في حفظ وصيانة الكتب نظرا للحاجة الى الإستعانة به تكلمة لما سوف ينشأ من مرافق مماثلة في مكتبة فرنسا .

الخلاصة

إن الدول المتقدمة تعالج موضوع تضخم أوعية المعلومات في المكتبات الوطنية عن طريق إنشاء مكتبات قومية جديدة مع تحديد مجموعة المقتنيات ونوعيتها في المكتبة الأم . ولكن قبل الإنشاء يتم عمل العديد من الدراسات المستفيضة تتناول مختلف فئات المستفيدين وإحتياجاتهم الفعلية من واقع ميداني

(١) تم تطبيق قانون الإيداع بفرنسا عام ١٥٢٧ وتصل اعداد الأعمال المودعة سنويا الى ما

يقرب من ٤٠ الف عنوان .

Laudurie, E. Le Roy Bibliotheque National et Bibliotheque de France

p.5

وذلك لتحديث خدمات المعلومات معتمدين فى ذلك على التكنولوجيا الحديثة
واضعين نصب أعينهم الجوانب الاقتصادية من حيث النفقات والوقت، ومشروع
مكتبة فرنسا صورة عصرية لما ينبغى عليه التخطيط لتطوير المكتبات القومية
وخطوة إيجابية للتغلب على كثير من المشاكل ، تجعلها لنا أسوة حسنة لدار الكتب
المصرية وإحياء مكتبة الاسكندرية .

فالاقتصاد فى النفقات والبعد عن المظهرية والإهتمام بعنصر الزمن أو
الوقت فى تنفيذ المشروع يعظم الفائدة أو العائد منه وهذا العنصر تتضاعف
أهميته فى الدول النامية لتضيق الفجوة الحضارية والإسراع بخطوات التنمية
الاقتصادية والاجتماعية .